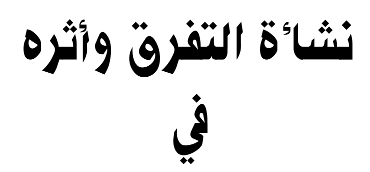


في

إحياء العِمِّية العصبية والمخالفات العقدية

في ضوء محاور قسم العقيدة والفلسفة

بحث مقدم

إلى المؤتمر العلمي الأول

تجديد العلوم العربية والإسلامية بين الأصالة والمعاصرة

المنعقدة بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بدسوق

جامعة الأزهر ٢٠٢١/٣/٢٠

(الجزء الثالث)

إعـــــداد

الأستاذ الدكتـــــور

محمد عبد الدايم علي سليمان محمد الجندي

أستاذ الأديان والمذاهب بقسم الأديان والمذاهب ووكيل كلية الدعوة الإسلامية
للدراسات العليا والبحث العلمي جامعة الأزهر بالقاهرة

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، الواحد الأحد، الفرد الصمد، المتنزه عن الصاحبة والشريك والولد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله، شهادة تقطع بها الظنون والأوهام، صلاة وسلاماً عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .... وبعد ،،،،،

فقد حدد الإسلام موقع الأمة في هذا الوجود بمنهج يشمل سلامة العيش فيه بكل واقعية ؛ منهج تنبثق منه وحدتها ، وأية وحدة ؟ ! إنها وحدة في العقيدة، ووحدة في العبادة ، ووحدة في المصدر ، ووحدة في الوجهة ، ووحدة في الهدف والغاية ؛ وحدة تفسر طبيعة وجودها في هذا الوجود، وترسم خطو السير فيه بما يحقق منعتها وقوتها ، فوحدتها سر بقائها ، وتشرذمها وتفرقها أداة لهدمها وذهابها شعاعا .

ووحدة الأمة نسيج شريعة خاصة من لدن إله واحد يعلم ما يصلح لهذه الأمة في هذا الوجود، قال تعالى : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (١)، وهذا الاعتصام يكفل وحدة نسيج هذه الأمة ، ووحدة النسيج تكفل جامعية أفرادها كما أن الجسد يجمع أعضاءه ، فإذا تطاير عضو أو بتر ؛ اختل توازن الجسد وقد يلفظ صاحبه أنفاسه ، وكذا الأمة ؛ إذا تفرقت تفككت ووهنت ؛ لذا كانت البراءة من الله لرسوله ﷺ من أهل الأهواء والفرق الضالة ، قال تعالى :﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا

(١)سورة آل عمران : الآية ١٠٣ .

يَفْعَلُونَ ﴾(١).

ووحدة الأمة وصيانتها من التفرق يتحقق لا محالة بوحدة الإنابة إلى الله تعالى، وصدق اتباع منهجه ، فهي تضمن لها حسن الإعداد والتكوين ، بخلاف المجتمعات الهينة التي نشأت نشوءاً ذاتياً وفق مقتضيات الأرض التي أخلدت إليها تلك الجماعات البشرية، مما ينعكس سلباً على الأفكار الاجتماعية والأخلاقية السائدة التي تؤسس لأهواء وفرق وأحزاب تزعم أنها إصلاحية ، وهي تنعق بالخراب .

ووحدة الأمة تكونت من ثوابت ربانية إذا انعكست في المجتمع المسلم بلغ من الرفعة والعلو منزلة لا تُباري، إنها وحدة تلفظ التفرق المذموم ، وتنبذ التحزب المشئوم ، وهذه الثوابت هي أركان وعوامل بناء المجتمع الصالح لكل زمان ومكان؛ يتسع باتساع الرسالة العالمية، وينعت بنعتها ليكون مجتمعاً عالمياً ، قال تعالى : ﴿ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ (٢) .

ولا عجب في ذلك فحقيقة كل شيء من متطلبات الأمة المسلمة مستمدة من الخالق، إذن فهي مستغرقة بعلم الله الأزلي بها، دون مزاحمة أحدٍ من المخلوقين لأنهم لن يصلوا إلى كنه الأشياء، بل عجزوا حتى عن فهم ظواهرها، ولما حاول بعض عناصر البشر صياغة أنظمة وتصورات لسير الإنسانية، خربت ولم تعمر، وفرقت ولم تجمع ، وتكونت التحزبات بعصبياتها المقيتة ، والفرق بانحرافاتها التي ساقت أتباعها إلى جاهلية عقدية نتيجة الكذب والتضليل والنفاق ، فكان تحذير الله لمن آمن بمنهجه

---

(١)سورة الأنعام : الآية ١٠٦ .

(٢)سورة الروم : ٣١ ، ٣٢ .

من أتباع هذه الشرذمة الجامحة، ووجههم نحو المنهج القويم الهادي إلى السعادة الأبدية، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (١) .

إذن فمنهج الله في وحدة الأمة ونبذ تفرقها هو الأقوم الذي تقوم على أساسه قائمتها ، وبعيداً عنه تقوم قيامتها ، فأسلافنا الأوائل ساروا على هذا المنهج الرباني في وحدة نسيج الأمة برابطته التي تهوي إليها الأفئدة ؛ فسادوا الدنيا، وتمكنوا في الأرض، وغرسوا الحضارة، وملكوا التقدم، وأرسوا بناءًا حصيناً، وصرحاً رصيناً يمثل الأمة المسلمة، ثم جاء الغثاء فتخلوا عن هذا المنهج الرباني، واستبدلوه بمناهج أرضية متخبطة من اجتهادات العقل القاصر، وهدموا البناء بمعاول التحزب المشين والتفرق المقيت الذي قسم جسد الأمة الواحد أشلاءا فكان كأعضاء متناثرة لا يشعر بعضها ببعض لا في أمل ولا ألم ، فانتكست وارتكست، وعاشت في واقعها مرارة التخلي عن التوجيهات الربانية ، وغرق أهل الهوى منها في لجج قوانين التفرق وثقافة التحزب .

لذا آثرت ـ محاولا ـ أن أصوغ آثار التحزب والتفرق المشئومة في نسيج تصوري متواضع، وفي دراسة تجاهد لتصل إلى الصواب، وقد قام نسيج هذا التصور المدروس في طي البحث والذي صدرته بعنوان: (**نشأة التفرق وأثره في إحياء العمية العصبية والمخالفات العقدية**) .

---

(١)سورة آل عمران : الآية ١٠٥ .

أهمية البحث :

إن تبرير التفرق المذموم عند أهل الهوى ، هو صياغة رؤية ديمقراطية مستوردة تنادي بحرية عرجاء ، توصم تطبيقاتها بالتصاريف الذئبية طلبا لمرضاة الهوى والضلال ، وتتلخص أهمية الموضوع فيما يلي :

١ . **الأهمية العلمية** : يرى الباحث أن فهم آثار التفرق يستلزم عمق البحث فيها ، فرغم ما كتب فيها ، إلا أنها تفتقر إلى دراسة علمية متخصصة مباشرة .

٢ . **الأهمية العملية** : بيان عوار التفرق في واقعنا المعاصر ، ودورهما في تمزيق الأمة وإحياء العصبيات القديمة التي أنتجتها الخلافات والعصبيات من جديد .

٣ . **الأهمية المستقبلية** : وتعد هذه الأهمية من الضرورة بمكان ، فالواقع المعاصر يحتاج إلى التركيز على ضرورة التعامل بالعقيدة السليمة ضد كل متربص لها من أهل الفرق المناوئة لها ، مع تدارك خطر ذلك على فقدان هوية الأمة وسر وجودها .

منهج الدراسة :

قامت منهجية البحث على الأساس الوصفي من خلال وصف واقع الأمة في ظل التفرق وما يتمخض عنهما من آثار تضر بواقع الأمة ومستقبلها ، وإحياء بعض العصبيات العقدية في ظل التحديات التي يشهدها العالم الآن والهجمة الشرسة على الإسلام .

خطة البحث :

مقدمة : وفيها أهمية البحث ، ومنهجه ، وخطته .

المبحث الأول : حول المفاهيم وتأصيلها .

المبحث الثاني : نشأة التفرق وأثره في إحياء العمية العصبية .

المبحث الثالث : أثر التفرق في اقتراف المخالفات العقدية .

الخاتمة : وفيها أهم النتائج والتوصيات .

والله ولي التوفيق والسداد



المبحث الأول

حول المفاهيم وتأصيلها

من مقتضيات البحث العلمي بيان مفهوم مصطلحاته والتعريف بمضامينها ، وفيما يلي ذلك :

- **أولا : مفهوم التفرق :**

في اللغة : "فَرَقْتُ" بين الكلامين "فَافْتَرَقَا" مخفف، و"فَرّقْتُ" بين العبدين "فَتَفَرّقَا" مثقل ، فجعل المخفف في المعاني والمثقل في الأعيان ، و"افْتَرَقَ" القوم والاسم "الفُرْقَةُ" بالضم، و"فارَقْتُهُ" "مُفارقة"، و"فِرَاقًا"، و"الفِرْقَةُ" بالكسر من الناس وغيرهم ، والجمع "فِرَقٌ" مثل سِدْرَة وسِدَر، و"الفَارُوقُ" : الرجل الذي "يفَرُقُ" بين الأمور أي يفصلها "[١] ، والمراد بالفرقة: " الطائفة من الناس "[٢].

. مفهوم التفرق في القرآن الكريم والسنة النبوية :

وردت كلمة "فرق " باشتقاقاتها فيما يقرب من سبع وأربعين موضعا في القرآن الكريم [٣] ؛ ومن معانيها :

. الانحراف عن الاستقامة ، كما في قوله تعالى في سورة الأنعام : ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾[٤] أي " فإنها طرق متفرقة فهي تجعل سالكها متفرقا عن

---

(١) المقري ، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ، المصباح المنير ، دراسة و تحقيق : يوسف الشيخ محمد ، (ط. المكتبة العصرية ، د. ت) صـ ٢٤٣ .

(٢) نفس المصدر والصفحة .

(٣)محمد فؤاد عبد الباقي ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، صـ ١٠٦.

(٤)سورة الأنعام :آية ١٥٣ .

السبيل الجادة، والإخبار عنها بالتفرق دل على أن المراد سبل خاصة موصوفة بغير الاستقامة ، والباء في قوله: "بِكُمْ" للمصاحبة: أي فتتفرق السبل مصاحبة لكم، أي تتفرقون مع تفرقها، والمعنى فتفرقكم عن سبيله، أي لا تلاقون سبيله"(١) ، ومنه قوله تعالى على لسان نبي الله يوسف عليه السلام : " يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ " (٢).

. **كما جاءت بمعنى الفصل بين متصلين بشدة** ؛ كما في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾ (٣) ، وهنا "فرَق وفرَّق بالتخفيف والتشديد بمعنى واحد، إذ التشديد يفيده تعدية ، ومعناه الفصل بين أجزاء شيء متصل الأجزاء، غير أن فرَّق يدل على شدة التفرقة، وذلك إذا كانت الأجزاء المفرقة أشد اتصالا "(٤) ، ومنه قوله على لسان موسى عليه السلام :" فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ "(٥) أي فافصل.

---

(١)ابن عاشور ، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر ، التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ، (ط. مؤسسة التاريخ العربي، بيروت ، لبنان ، ط.أولى، ١٤٢٠هـ،٢٠٠٠م)جـ٧ ، صـ ١٢٩ .

(٢)سورة يوسف : آية ٣٩ .

(٣)سورة البقرة :آية ٥٠ .

(٤)ابن عاشور ، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر ، التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ، جـ١ ، صـ ٤٧٧ .

(٥)سورة المائدة : آية ٢٥ .

. **كما وردت بمعنى الجماعة**، كما في قوله تعالى :" فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ "(١) ، أي جماعة ، وقوله : ﴿ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٢) ، أي الجماعتين ؛ جماعة المؤمنين وجماعة الكافرين ، " فالفريق: الجماعة التي تفارق، أي يخالف حالها حال جماعة أخرى في عمل أو نحلة "(٣) .

إذن نخلص مما سبق إلى أن كلمة فرق باشتقاقاتها في القرآن الكريم ؛ تعني الجماعة ، والطائفة المنحرفة عن الاستقامة ، والفصل ، وهذه أشهر معاني كلمة فرقة في القرآن الكريم .

ولطالما حذر القرآن الكريم من التفرق والانحراف عن الطريق المستقيم ، ومن عاقبته الوخيمة ،قال تعالى : ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (٤)،وقال:

﴿ وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ، كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (٥) وقال: ﴿ وأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي

(١)سورة التوبة : آية ١٢٢ .

(٢)سورة الأنعام : آية ٨١ .

(٣)ابن عاشور ، ، التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ، جـ١١ ، صـ ٢٣٥ .

(٤) سورة الأنفال : ٤٦ .

(٥) سورة آل عمران : آية ١٠٣.

مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سبيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (١) .

. ومما ورد في السنة عن الافتراق :

وردت أحاديث كثيرة تنبئ بافتراق الأمة كما افترق بنو إسرائيل ، وتشير إلى النكال الذي سيقع في هاويته المفترقون ، ومن جملة هذه الأحاديث ما روي عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ افْتَرَقَتْ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَإِنَّ أُمَّتِي سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ"(٢) .

ومنها أيضا : ما روي عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "افْتَرَقَتْ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَافْتَرَقَتْ النَّصَارَى عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فَإِحْدَى وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَتَفْتَرِقَنَّ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ" قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ هُمْ؟ قَالَ: "الْجَمَاعَةُ"(٣) .

---

(١) سورة الأنعام : آية : ١٥٣ .

(٢) أخرجه ابن ماجة ، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ، سنن ابن ماجه . بتحقيق : شعيب الأرنؤوط ، عادل مرشد ، محمَّد كامل قره بللي ، عَبد اللّطيف حرز الله ، وهو صحيح ، أبواب الفتن، باب افتراق الأمة (دار الرسالة العالمية ، ط.أولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م) جـ ٥ ، صـ ١٢٠ .

(٣) أخرجه ابن ماجة ، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ، سنن ابن ماجه . بتحقيق : شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد ، محمَّد كامل قره بللي ، عَبد اللّطيف حرز الله ، وهو صحيح لغيره ، أبواب الفتن، باب افتراق الأمة جـ ٥ ، صـ ١٢٩ .

وفي رواية للترمذي توضـــيح للمراد من الجماعة ، ف " عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمــْرٍو، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أُمَّتِي مَا أَتَى عَلَى بني إسرائيل حَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ، حَتَّى إِنْ كَانَ مِنْهُمْ مَنْ أَتَى أُمَّهُ عَلَانِيَةً لَكَانَ فِي أُمَّتِي مَنْ يَصْنَعُ ذَلِكَ، وَإِنَّ بني إسرائيل تَفَرَّقَتْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً"، قَالُوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي "(١) .

وقول النبيﷺ يشير إلى انحراف بعض الفرق عن الطريق المستقيم " فالمعنى أن اليهود والنصارى يفترقون فرقا تتدين كل واحدة منها بخلاف ما تتدين به الأخرى ، (وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة) قيل فيه إشارة لتلك المطابقة مع زيادة هؤلاء في ارتكاب البدع بدرجة (إلا ملة) بالنصب أي إلا أهل ملة (قالوا من هي) أي تلك الملة أي أهلها الناجية (ما أنا عليه وأصحابي) أي : هي ما أنا عليه وأصحابي "(٢). هذا بعض ما ورد عن افتراق الأمة في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يسير في نفس المسار ويشير إلى نفس المفهوم القرآني للتفرق على أنه انحراف عن الاستقامة.

---

(١) أخرجه الترمذي ، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك،سنن الترمذي، بتحقيق : أحمد محمد شاكر ، والحديث قال عنه الترمذي حسن غريب ، وحسنه الألباني ، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة ، (ط. شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ط.ثانية، ١٣٩٥ هـ ، ١٩٧٥ م) جـ ٥ ، صـ ٢٦ .

(٢) المباركفوري ، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم أبو العلا ،تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة (دار الكتب العلمية – بيروت ،د.ت) جـ ٧ ، صـ ٣٣٣ .

- **ثالثا : مفهوم العِمِّية :**

"العِمِّيَّةِ " على " فِعِّيلة من العمَاء : الضَّلالة كالقِتال في العَصَبِيَّة والْأَهْواء ، والفِتْنَة والجَهالة ، وحكى بعضهم فيها ضمّ العين "(١).

ومنه ما جاء في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: " مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ، وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً، وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ، أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصَبَةٍ، أَوْ يَنْصُرُ عَصَبَةً، فَقُتِلَ، فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ، وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي، يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا، وَلَا يَتَحَاشَى مِنْ مُؤْمِنِهَا، وَلَا يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ، فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ "(٢) ، إذن العمية تعني الضلالة والجهالة والفتنة التي يخوض غمارها المفترقون عن المنهج الصحيح ، والمتحزبون للشيطان الرجيم وأعوانه ودعاته من بني الإنسان كالعلمانيين وأدعياء التجديد والحداثة .

- **رابعا** : العصبية : " هي أن يدعو الرجل إلى نصرة عصبته ، و الوقوف معها على من يُناوؤها ظالمة كانت أو مظلومة ، و من معانيهما أيضا : المحاماة و المدافعة و النصرة "(٣)، ويدخل فيها التعصب للحزب والفرقة .

---

(١) الجزري ، : أبو السعادات المبارك ، النهاية في غريب الحديث والأثر ، تحقيق : طاهر أحمد الزاوى ، محمود محمد الطناحي (ط. المكتبة العلمية – بيروت ، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م) جـ ٣ ، صـ ٥٧٦ ، والفراهيدي ، أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد ،كتاب العين ، جـ ٢ ، صـ ٢٦٧ .

(٢) أخرجه مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري ، صحيح مسلم ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ،كِتَابُ الْإِمَارَةِ ، بَابُ الْأَمْرِ بِلُزُومِ الْجَمَاعَةِ عِنْدَ ظُهُورِ الْفِتَنِ وتحذير الدعاة إلى الكفر ، (ط. دار إحياء التراث العربي — بيروت ، د.ت) جـ ٣ ، صـ ١٤٧٦ .

(٣)ابن منظور ،محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ، الإفريقي ، لسان العرب (ط.دار صادر ، بيروت ، د ت) ، جـ١ صـ ٦٠٧ .

- **خامسا: المخالفات** : جمع مخالفة ، وهي من الخلاف ، وقوله تعالى: "فَرِحَ المخَلَّفُونَ بِمقْعَدِهم خِلافَ رَسُولِ اللهِ" أي مخالفة رسول الله، والمخالفة:عدم الاتفاق"(١) ، والمراد شذوذهم بالمخالفة لصحيح الملة ، وعدم اتفاقهم مع ما جاء فيها من ثوابت وتشريعات.

- **سادسا : العقدية، لغة** :"من مادة عقَد يقال: عقَد الحبْل عَقْداً من باب ضرب فَانْعَقَدَ، وهي: العُقدةِ ومنها: عُقْدة النِكاحِ والعُقْدَةُ ما يمسكه ويوثقه، ومنه قيل: عَقَدْت البيع ونحوه (٢) ، فالعُقْدة: البيعة المعقودة لهم (٣)، من عُقْدةِ الحَبْل، وعَقَدْتُ اليمين وعَقَّدْتَهَا بالتشديد توكيد، وعَاقَدْتُهُ على كذا وعَقَدْتُهُ عليه بمعنى عاهدته، ومَعْقِدُ الشيء مثل مَجْلِس موضع عَقْدِهِ، وعُقْدَةُ النكاح وغيره: إحكامه وإبرامه، والعِقْدُ بالكسر: القلادة، والجمع: عُقُودٌ مثل حِمْل وحُمُول، واعْتَقَدْتُ كذا: عَقَدْتُ عليه القلب والضمير، حتى قيل: العَقِيدَةُ " ما يدين الإنسان به وله عقيدة: حسنة سالمة من الشك " (٤)

---

(١)الزبيدي ،محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس (ط. دار الهداية ، د.ت) جـ ٢٣ ، صـ ٢٢٤ .

(٢) المقري، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، للرافعي، جـ ٢ صـ ٤٢١، وانظر: المغرب في ترتيب المعرب، لأبي الفتح ناصر الدين بن عبد السيد بن علي بن المطرز، تحقيق: محمود فاخوري، وعبد الحميد مختار، (ط. مكتبة أسامة بن زيد، حلب، ط. أولى، سنة ١٩٧٩م) جـ ٢ صـ ٧٣ .

(٣) الزمخشري، محمود بن عمر، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، الفائق في غريب الحديث، (ط. دار المعرفة، لبنان، ط. ثانية، د.ت) جـ ٣ صـ ١٦ .

(٤) المقري، أحمد بن محمد بن علي الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي،جـ ٢ صـ٤٢١ .

- **والعقيدة في الاصطلاح**: "هي ما يجب شرعاً اعتقاده والتصديق به تصديقاً جازماً لا شك فيه ولا ريب" (١) .

والمراد هنا العقيدة الإسلامية بكل ما تضمنته من ضوابط وشرائط وأحكام .

---

(١)، النسفي ،نجم الدين عمر، شرح العلامة ، تحقيق :سعد الدين التفتازاني على العقائد النسفية ، (ط.دار الكتب العربية الكبرى، مصطفى البابي الحلبي ، د.ت) صـ ١١.

المبحث الثاني

نشأة التفرق وأثره في إحياء العمية العصبية

نهى الإسلام عن دعاوى الجاهلية، واستأصل جذورها، وأبدى في ذلك وأعاد في نصوص كثيرة ، ولا ريب أن العصبية الحزبية والتعصب للمذهب والفرقة أمور تجر إلى تلك الدعاوى الجاهلية؛ لما تحمله من غلو وإعجاب بالرأي ، ومناصرة . أحيانا . لغير الحق، وللتفرق والتحزب آثار في تكوين أنموذج من الجاهلية يتناغم مع أنموذج الحمية الجاهلية ، ونذكر فيما يأتي بعضا من آثار التحزب والتفرق في إحياء العمية الجاهلية :

أولا : نشأة التفرق ومولد الوهن :

بدأت قصة التفرق مع ظهور التعصب المذهبي في التاريخ الإسلامي الذي ارتبط بالخلافات السياسية والفكرية التي حدثت بين المسلمين خلال القرون الثلاثة الهجرية الأولى، مما أدى إلى ظهور فرق وطوائف وجماعات تمذهبت بأفكار و أصول كانت تحملها ، ثم تعصّبت لها و سعت جاهدة إلى نشرها والانتصار لها على أرض الواقع ، فدخلت في نزاع مذهبي شديد فيما بينها ، على مستوى المشاعر والأفكار ، والأقوال والأفعال ، وكان " تفرق الأمة وانقسامها على نفسها " بسبب الفتنة الكبرى بين سنتي (٣٥-٤١هـ) ، وظهور الفرق السياسية المتمثلة في الشيعة ،والخوارج ، والسنة ، ثم تنظّمت ،وتسيست، وتمذهبت ، وتعصبت لأفكارها ،وخاضت من أجلها الصعاب والشدائد والحروب"(١).

(١)البغدادي ، عبد القاهر البغدادي ، الفرق بين الفرق ، تحقيق : محي الدين عبد الحميد (ط. المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٩٥ م) ص ١٤وما بعدها .

وقد حدثت خلافات عقدية خطيرة منذ نهاية القرن الأول الهجري و ما بعده ، فظهرت المعتزلة ، و نفت صفات الله تعالى و قدمت العقل على الوحي ، وظهرت الجهمية ، وهم أتباع جهم بن صفوان ، فقالت بالجبر وفناء الجنة والنار ، وعطّلت صفات الله تعالى، وفي مقابل هؤلاء نجد أهل السنة و الجماعة ، كانوا يمثلون جمهور المسلمين ، رافعين راية القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة ، فمثلوا الإسلام الصحيح ،وردوا على انحرافات تلك الفرق ، فأثبتوا صفات الله تعالى بلا تأويل ،ولا تعطيل ،ولا تشبيه ،ولا تجسيم ، وقدموا النقل على العقل "(١) ، وتلك الفرق تميزت بأفكار تمذهبت بها وتعصّبت لها ، وخاضت من أجلها المصادمات والمناظرات ،وصنفت الكتب انتصارا لمذاهبها ، فكان ذلك سببا في ظهور التفرق والتعصب المذهبي وانتشاره فيما بينها.

ثانيا : إحياء العصبية :

تعوذ أهل العلم من العصبية ، فمثلا يقول العلامة عبد الرحمن بن الجوزي : " نعوذ بالله من العصبية "(٢)، والعصبية للفرقة تجر الرأي ليسلم للباطل ، والتعصب المذهبي ، من أخطر أشكال ا لعصبية التي تشكل تهديدا لواقع الأمة المسلمة .

وكم جرت الدعاوى الحزبية على أهلها من ويلات وفتن ومنازعات طاحنة، وقودها النفوس والأموال والأعراض ؛ مزقت الشمل وغرست العداوة والشحناء في القلوب، وفرقت بين الشعوب والأمم .

---

(١)نفس المصدر ، صـ ٢٦ .

(٢)العسقلاني ، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر ، لسان الميزان ، (ط. مؤسسة الأعلمي ، بيروت ، ط. ثالثة ، سنة ١٩٨٦) ، جـ ٣ صـ ٢٧٥ .

وإن الغضب والحمية للهوى والرأي يحمل المرء على الحمق في اختيار ما ينفعه لينفذ إلى ما يضره ، وهذا من أشد أنواع الجهل ؛ لعمله بخلاف ما يعلم بإقباله على فعل ما يعلم أنه يضره، وترك ما يعلم أنه ينفعه؛ وتلك محصلة التعصب للرأي الحزبي أو المذهبي بما تحمله من هوجاء العمية الضالة التي تفضي إلى الهلاك كما في حديث سيد ولد آدم صلى الله عليه وسلم ، فعن أبي أميَّة الشَّعبانيُّ، قال:

سألتُ أبا ثعلبة الخُشنيَّ فقلت: يا أبا ثعلبة، كيف تقول في هذه الآية: "عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ ؟"(١)، قال: أما والله لقد سألت عنها خبيراً، سألت عنها رسول الله ﷺ فقال: "بل ائتَمِروا بالمعروف، وتناهَوْا عن المنكَر، حتى إذا رأيتَ شُحّاً مُطاعاً، وهوىً متبعاً، ودنيا مُؤْثَرَةً، وإعجابَ كلِّ ذي رأي برأيه، فعليكَ -يعني بنفسك- وَدع عنك العَوامَّ، فإنَّ من ورائِكم أيامَ الصبر، الصبرُ فيه مثلُ قبضٍ على الجَمْر، للعامل فيهم مثلُ أجر خمسينَ رجلاً يعملون مثلَ عمله" وزادني غيره: قال: يا رسول الله: أجرُ خمسين منهم؟ قال: "أجرُ خمسين منكم"(٢).

والتعصب للفرقة والمذهب ضرب من العجب بالرأي ، يفضي إلى البغض والمعاداة وشق عصا الجماعة المسلمة،وتمزيق أواصر الوحدة وضياع للمصلحة وجلب للمضرة ، فهؤلاء الفرقاء المتحزبين نجدهم ألداء يكره بعضهم بعضا ويلعن بعضهم بعضا ، وذلك مدعاة لإحياء النعرات والعصبيات الجاهلية .

وقد أدت العصبية والنعرة العمية إلى زيادة وهن الأمة،مما قادها إلى الضعف والتفكك

---

(١)سورة المائدة:آية ١٠٥.

(٢)أخرجه أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني ، سنن أبي داود ، تحقيق : شعَيب الأرنؤوط - محَمَّد كامِل قره بللي ،باب الأمر والنهي، (ط. دار الرسالة العالمية ، ط.أولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م) جـ ٦ ، صـ ٣٩٦ .

والانحلال،وتردى المسلمون في حالة من العجز في مجال الاختراع والإبداع،وسادهم الجمود والتقليد والتواكل،والانحراف عن النهج القويم، والانشغال بالنعرة والفخار مما أدي إلى تكدير الصفو، وأهوى بالمجتمع حتى وقع لقمة سائغة في يد الاحتلال، وخر صريعاً أمام الهجمات الشرسة،وقد قال تعالى في هذه النعرة: ﴿ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ (١)، وقال رسول الله ﷺ محذراً منها:" من قتل تحت راية عميه يدعو إلى عصبية أو ينصر عصبية فقتلته جاهلية " (٢) .

فالتعصب للفرقة من ألوان العصبيات العماية ، وصاحبه يزعم أن رايته هي الدين، وحزبه هو الصحيح ، وما سواه ليس كذلك، إنه واقع مر لخصته هذه الكلمات، وبهذا أصبح كل من انتمى لحزب أو فرقة يتعصب لها يعيش مع نفسه، وكأن حزبه هو أمته، وهكذا صار كل حزب أمة، وأسقط مفهوم الأمة الواحدة، مما أدى إلى تقويضها وهدمها .

ثانيا : التفرق جاهلية تمزق أواصر الوحدة ، وتعكر صفو الإخاء :

جمع النبي ﷺ بروح الوحدة والإخاء بين المهاجرين والأنصار ، ولم يسمح حتى بتبادل المسميات والنعوت بمحمل التفرق ،فلا فرقة ، بل وحدة على منهج الكتاب والسنة منعا لتداخل الأهواء ، ومن ذلك المؤاخاة ووحدة النسيج التي عقدت بين المهاجرين والأنصار بعد مقدمهم بخمسة أشهر، وقيل: ثمانية أشهر، فعن عروة قال:

---

(١) سورة الفتح: الآية ٢٦ .

(٢) أخرجه مسلم، راجع: صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب: الإمارة، باب: ملازمة جماعة المسلمين، ج ٦ ص ٤٨٠، طبعة دار الحديث، طبعة ثالثة، سنة ١٤١٩هـ .

قدم رسول الله ﷺ المدينة، فكان أول راية عقدها راية عبيدة بن الحارث.): وفيها: آخي النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار، على المواساة والحق، وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: آخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار، وورث بعضهم من بعض، حتى نزلت: ﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (١)"(٢) .

ثالثا : التفرق مدعاة لإحياء النعرات العرقية والقبلية والعنصرية والطبقية :

النعرة: " من الصياح ومناداة القوم بشعارهم طلبًا للغوث والاستعانة، أو لإهاجتهم وتجمعهم في الحرب، وإذا أصيب شخص بضيم، أو نزلت به إهانة أو نازلة، نادى قومه بشعائر العصبية، وعلى قومه تلبيته ونصرته ، وقد ينادي الإنسان شخصًا طالبًا منه العون والنصرة، فتلزمه مساعدته كأن ينادي: "يا لَفلان"، وهو شعار يستعمل عند التعصب، ينادي به بصوت عالٍ مسموع، عند بيت المنادى أو في موضع عام أو في مكان مرتفع؛ ليصل الصوت إلى أبعد مكان " (٣) .

ونرى أن رايات ترفع باسم الحزب تدعو للتشرذم والتفتيت والعنصرية ؛ رايات قبلية أو عنصرية تتجاهل بقية عناصر المجتمع ، وقد نهى الإسلام على النعرة الجاهلية التي تحفز على العصبية العرقية والعنصرية والطبقية .

---

(١) سورة الأنفال : آية ٧٥ .

(٢) الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري (ط. دار الكتاب العربي ، لبنان ، بيروت ، طبعة أولى ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م) جـ ٢ ، صـ ٣٢ .

(٣) جواد علي ، المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ، (ط. دار الساقي ، طبعة رابعة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م) جـ ٧ ، صـ ٣٩٧ بتصرف يسير .

رابعا : التفرق عمية تحقق لبغية الصهيونية (فرق تسد) :

مما لا شك فيه أن اليهود أقاموا دولتهم على كواهل المتمذهبين والمتفرقين ، وذلك ليس بجديد في طبيعة اليهود، فقد جربوا ذلك مع الأوس والخزرج حيث أثاروا الضغائن بينهم، وأوقدوا الحرب والفتنة التي لم تنطفئ إلا بالإسلام، وعلى مر التاريخ وعقده ظل اليهود يعملون بهذا المبدأ الذي وثقوا به، وأيقنوا من نتائجه فعملوا بذلك مع المسلمين منذ أن قامت لهم دولة، وصار لهم كيان منذ العصر الأول في تاريخ الإسلام، وحتى العصر الحديث هذا .

وقد كشف القرآن الكريم عن هذه الحقيقة، قال تعالى: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ قَالُوَاْ إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ (١) وقال : ﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ ﴾ (٢) لذلك كان اليهود والنصارى بدسائسهم وحقدهم سبباً في فرقة المسلمين، حتى كفرّ بعضهم بعضاً، وحارب بعضهم بعضاً، وقد لعبوا دور الأفعى الملساء في التسلل إلى قلوب الناس فبثوا سمومهم، ومزقوا أوصال الأمة .

وتشكل الحزبية الدينية أو السياسية خطرا أيضا يدعو إلى الفرقة التي تسمح بتلاعب الأصابع الخفية في وحدة الأمة ، وبث روح الخلافات التي تفتح أبواب الفتن على مصراعيها " فقد أفلحت النعرات السياسية في تصعيد بعض التناقضات وتعميق روح

---

(١) سور ة المائدة: الآية ٨٢ .

(٢) سورة البقرة: الآية ١٢٠ .

الخلافات " ، ما أدى إلى اهتزاز ثقة المسلمين، وزاد في طمع العدو الخارجي وضعف العالم الإسلامي، وتوقف المد الإسلامي ثم أخذ بالانحسار " [١].

خامسا : التفرق تجميد لآمال المسلمين وتمديد لآلامهم :

جمع الإسلام بين أشتات المسلمين في داره أمة واحدة ، ولما هبت ريح التفرق في الأمة سرى الشتات مرة أخرى في أوردة جسد الأمة ليجمد ما فيها من معالم الرقي والحضارة والأمل .

والتجميد " من جَمَد الشيء: إذا لم يبرح مكانه "[٢] قال تعالى: ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾ [٣] وفي لسان العرب: " الجمَد بالتحريك: الماء الجامد وهو نقيض الذَوَب، وكذلك الدم وغيره من السيالات يجمد جموداً وجَمْداً إذا يبس، وجَمَد الماء والعصارة حاول أن يَجْمُد والجَمَد الثلج، ويقال حَجَرَةٌ وشَجَرَةٌ ومَخَّةٌ جامدة أي صلبة، وعين جامدة: لا تدمع، وجمادى من أسماء الشهور، سميت بذلك لجمود الماء فيها ، وقال أبو حنيفة :"جمادى" عند العرب: الشتاء كله في جمادى كان أو في غيرها، أو لا ترى أن جمادى بين يدي شعبان، وهو مأخوذ من التشتت والتفرق" [٤] .

---

(١)جميل عبد الله، حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصر، ،(ط.مكتبة العبيكان، طبعة عاشرة، سنة ١٤٢٧هـ. ٢٠٠٦م) جـ١ صـ ٤٧ باختصار .

(٢)أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان، تفسير البحر المحيط، بتحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ على محمد معوض،(ط. دار الكتب العلمية، ط. أولى، سنة ١٤١٣هـ. ١٩٩٣م) جـ ٧ صـ ٩٤ .

(٣) سورة النمل : آية : ٨٨.

(٤)ابن منظور، لسان العرب، باب: جمد، جـ ٣ صـ ١٢٩ بتصرف واختصار .

والمعن في معاني " جَمَدَ " ومشتقاتها في اللغة؛ يجد تناسباً بينها وبين نعت واقع الأمة بها في ظل معاناتها من ويلات التفرق والتمزق ،فآمال الأمة باتت مستهدفة ، ومعسكرات الهدم أضحت تبث هواجس التفرق بمبررات ساحرة باسم الدين حينا وباسم السياسة أحيانا أخرى ، مبررات لا زالت تدوي في أركانها، فأمست تمزق، وأضحت تفرق، وجندت لها بعضاً من أصحاب الفرائس المخدوعة حتى صارت الأمة شيعاً وفرقاً، ولله در الشاعر حين قال:

وتفرقوا شيعاً فكل قبيلة   فيها أمير المؤمنين ومنبر (١)

وفي ظل التفرق والتعصب للحزب ؛ تربص المتربصون وتداعت الأمم على أمتنا ، واستنفرت كل جياد في سبيل هزيمتها ،والأمة مشغولة في صراعاتها الحزبية ، جامدة الآمال ، ممتدة الآلام ، فلو قلنا: التفرق " تجميد آمال المسلمين " من معنى " لم يبرحوا مكانهم " لصح التصوير، لأن الأعداء يريدونها جامدة ساكنة، لا رأي لها ولا مطمح، ولا غاية ولا مفلح، وإذا قلنا أن "تجميد آمالها" من معنى "جَمَد الماء" نقيض ذاب إذا صار ثلجاً وتوقف مَدُّه لصح المعنى أيضاً، فالعدو يريدها أمة باردة، معطلة، لا إرادة لها، ولا تحول لخطوها نحو أمل تهتف به مما تربع في عرْصات عقول رجالها، أو ترفُّع على روابي قلوب محبيها، وإذا نعتت بمعنى أسماء الشهور الجمادى حيث التشتت والتفرق على حد استعمال العرب كما قال الإمام أبو حنيفة، لصح التعبير، فهي أمة حيل بينها وبين ما تروم، وجعل لها من دونه عقبات، وأقيم بينها وبينه سداً من صناعة حُرَّاس الضلال على مواقد جهنم، هؤلاء الذين أدركوا أن بقاء الأمة منوط بعزيمة رجالها

---

(١)عبد العظيم إبراهيم المطعني ، أوربا في مواجهة الإسلام، الوسائل والأهداف ، (ط. مكتبة وهبة، ط.أولى، سنة ١٤١٣هـ. ١٩٩٣م) صـ ٤٣٦ . .

،وهمة أبنائها، ودينها وأخلاقها، فأطلقوا سوساً ينخر في نخاعها حتى خارت وشاخت ونخرت عظامها، فلاقت خواءً فهزلت أركانها وتباطأت عن الوثوب وتوانت عن التقدم والنهوض، لأنها صارت جامدة الآمال ، أما تمديد الآلام: فالتمديد من معنى المدّ، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ﴾ (١) ومدت بمعنى: "بُسطت وفرشت ووسعت" (٢) وقيل: "مُدت : زِيد في سعتها، من المدد، وهو الزيادة" (٣) .

وهو معنى ينطبق على واقع الأمة، فآلام الفرقة والتشرذم مبسوطة، وقد لُجمت الأمة بعنان التحزب الأهوائي الموبوء شديد الشكيمة (٤) عن الخروج من قارورة السجن النفسي الذي يحبط كل أمل جديد يفتح نافذة نحو الفتح الحضاري والتقدم العلمي .

إذن يعاني الميلمون تفتيتا في كيانها بسبب الفرقة، وافتقدت بهما شرائط الرقي والتقدم، وغابت ملامح القوة التي تعد هي والحياة صنوان، فالحياة هي القوة، والقوة هي الحياة، والقوة أحب إلى الله من الضعف، وأنفع للبشرية من الحياة المرتعشة المهزوزة، تلك الهزة التي أضحى بها المسلمون في هلع وفزع، يركضون رعاديد (٥) أمام

---

(١)سورة الانشقاق : آية ٣ .

(٢)ابن كثير ،إسماعيل بن عمر أبو الفداء، تفسير القرآن العظيم، (ط.مكتبة دار التراث، د.ت) جـ ٤ صـ ٤٨٨

(٣)الشوكاني ، محمد بن علي بن محمد ، فتح القدير، الجامع بين فني الرواية والدِّراية من علم التفسير، بتحقيق: سيد إبراهيم، (ط. دار الحديث، د.ت) جـ ٥ صـ ٤٨٠،.

(٤) الشكيمة : الحديدة المعترضة في فم الفرس، راجع كتاب: نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد، للشيخ إبراهيم اليازجي اللبناني، (ط. دار المعارف، سنة ١٩٠٤م) جـ ١ صـ ١٤٦.

(٥) جمع رعديد وهو الذي ترتجف وتضطرب من الخوف فرائصه، ورجل رعديد جبان يرعد عند القتال جبناً. انظر: لسان العرب، لابن منظور، باب: رعد، جـ ٣ صـ ١٧٩ باختصار.

العدو الزاحف من كتائب الشياطين، وتسورت الأمة معالي التراجع أمام هذا الزحف الهائج، بسبب هوان بنيانها .

لقد بحث الأعداء عن كل منافذ الوحدة وأغلقوه ، لأنهم أدركوا أنها مناط للحضارة ، فصرح الأمة حين كانت نسيجا واحدا أتعب الأعناق المتطاولة لتصل إلى نهايته، وأرجع بصر المنكرين خاسئاً وهو حسير، وذلك بشهادة رجال الغرب قبل رجالها، ومما ذكر في ذلك قول غوستاف لوبون :

" كلما أمعنا في درس حضارة العرب وكتبهم العلمية واختراعاتهم وفنونهم ظهرت لنا حقائق جديدة، وآفاق واسعة، وجامعات الغرب لم تعرف لها مدة خمسة قرون مورداً علمياً سوى مؤلفاتهم، وأنهم هم الذين مدَّنوا أوربا مادة وعقلاً وأخلاقاً، وأن التاريخ لم يعرف أمة أنتجت ما أنتجوه في وقت قصير، وأنه لم يفقهم قوم في الإبداع الفني، وتأثير العرب عظيم في الغرب، ولم يتفق لأمة ما اتفق للعرب من التفوق، والأمم التي كانت لها سيادة على العالم [١] توارت تحت أعفار الدهر، ولم تترك لنا إلا أطلال دراسة، وعادت أديانها ولغاتها وفنونها لا تكون سوى ذكريات، وثبتت أصول شريعة الرسول وفنون العرب ولغتهم أينما حلت" [٢] .

إن التفرق يفقد الأمة بريق الوحدة التي علت بها في سماء الحضارة بفضل قوتها وتماسكها ، قال رسول الله ﷺ فيما رواه أبو موسى الأشعري:" المؤمن للمؤمن كالبنيان

---

(١) كالآشوريين، والفرس، واليونان، والرومان وغيرهم .

(٢) غوستاف لوبون، حضارة العرب، بترجمة: عادل زعيتر، (ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ت) صـ ٢٦ بتصرف يسير.

يشد بعضه بعضاً، ثم شبك أصابعه " [١] ، والتفرق يهز أركان وحدة الشعور، الذي قال عنه النبي ﷺ ، فيما رواه النعمان ابن بشير : " ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى " [٢] ، إنها وحدة تنسج مجتمعاً غير عنصري ولا قومي، ؛ مجتمعا مفتوحا لجميع بني الإنسان، دون النظر إلى جنس أو لون أو لغة ، فكانت الأمة جديرة بملاحقة الكائدين، لاسيما وأن وحدتها مستمدة من منهج رباني،قال تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُون ﴾ [٣]، وقال: ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴾ [٤] وقد ربط القرآن بين المسلمين برباط لا ينفصم، وهو رباط الأخوة الإيمانية، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [٥] ومعناه أنه لا يتحقق الإيمان بغير الأخوة، ولا معنى للأخوة إذا لم يشعر الأخ بآلام أخيه وهمومه، فالمسلم في أمته عضو في جسد حي، يأخذ منه ويعطيه ويحيا به، ويصح بصحته ويسلم بسلامته ، لهذا كله أراد المغرضون تمزيق هذا الجسد القوي بالتحزب وصناعة الفرقة ، وخصوصا في واقعنا المرير، فصارت الرأس في مكان والذراع في آخر، والقدم في ثالث، إنه تجزأ كلياً في المشاعر والآمال والآلام، ونزعت روح الحياة الجامعة لهذه الأعضاء، ولم يبق منها إلا آثار شعارات وهتافات حزبية وقومية ومذهبية " ووحدة الأمة ليست شعاراً يرفع، وإنما هي مبدأ نظر في

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب: الأدب، باب: تعاون المؤمنين بعضهم بعضا ، (ط.دار طوق النجاة ، ط. أولى ،١٤٢٢هـ)جـ ١٠، صـ ٥٤٢.

(٢) المرجع السابق، كتاب: الأدب، باب: رحمة الناس والبهائم، جـ ١٠، صـ ٥٤٠ .

(٣) سورة الأنبياء: آية : ٩٢.   (٤) سورة المؤمنون : آية : ٥٢.

(٥) سورة الحجرات: آية :١٠.

الأصل، وإذا تحولت إلى مجرد شعار، فإنها تفقد معناها ، فلا قيمة للبئر المعطلة، ولا للنهر الجاري تحت الأرض إذا لم ينتفع بمياههما الناس " [١] ، ذلك غيض من فيض مما أفرزه التفرق والتحزب من آثار هدمية .

---

(١)عبد الرحمن عباد، أسس الحضارة الإسلامية، أبحاث وقائع المؤتمر العام الخامس عشر للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية، (سنة ١٤٢٤هـ. ٢٠٠٤م) صـ ١٦٤ بتصرف،.

المبحث الثالث

أثر التفرق في اقتراف المخالفات العقدية

إن التفرق من أخطر وسائل التشويش على العقيدة، وقد استخدم الأعداء سلاح التفرق الديني أداة لتقطيع رابطة القوة الوجدانية التي تشد بنيان الأمة، وهو العقيدة التي جمعت كل الأجناس والألوان والألسنة على كلمة التوحيد .

وعلى أساس هذا التقطيع قامت معاول الفرقة كالمسعورة تمزق وتدمر في صرح الأمة، واتجهت في ذلك اتجاهات عديدة، واتخذت أشكالاً وصوراً متنوعة ، واجتهدت في هذا التنوع كالأفعى تغير جلدها كل حين .

إن العدو أدرك أن وراء قوة الأمة قوة العقيدة، وأنها الباعث لروح السيادة على العالمين، والأساس الذي تقوم عليه الأمة، فهي وحدة في الدين، ووحدة في الرسالة، ووحدة في الكتاب، ووحدة في العبادة، ووحدة في الثقافة، ووحدة في الاتجاه، ووحدة في النسيج المتناغم، لا يتسلل إلى بنيتها وهن ولا تفسخ ولا ضعف .

وتبدو آثار التفرق في عدة نقاط تؤدي إلى تفريغ الأمة من عقيدتها ، منها :

أولا : إحياء المداهنة للباطل على حساب الدين :

المداهنة :" إظهار الرضا بفعل الفاسق من غير إنكار عليه"(١) ، وقيل هي " ترك الدين بالدنيا "(٢) .

وقد يؤدي التحزب والانتماء لفرقة معينة إلى مداهنة الباطل ومجاراته على حساب الحق ، ومن المعلوم " حرمة المداهنة في دين الله تعالى وهي أن يتنازل عن شيء من الدين

---

(١) ابن عجيبة ، أحمد بن محمد بن المهدي ، البحر المديد ، (ط. دار الكتب العلمية . بيروت ، ط. ثانية ، سنة ٢٠٠٢ م . ١٤٢٣ هـ) جـ ٨ ، صـ ٣٧ .

(٢) نفس المصدر والصفحة .

ليحفظ شيئا من دنياه "[١] ، وقد يكون الباعث على المداهنة متابعة لولاءات حزبية، أو رغبة في مجاراة زعيم فرقة بقصد التقرب والمجاملة ونيل الرضا ، ومتى داهن الإنسان من أجل إزكاء حزبه أو مذهبه على حساب عقيدته ؛ سقطت من أعين الناس وجاهته، وظهرت آثار مداهنته من خلال أقواله وأعماله .

وليس ذلك فقط بل من الممكن أن يداهن باسم حزبه لأحزاب مناوئة للعقيدة والأخلاق الإسلامية من أجل كسب معركة انتخابية،أو أي مطمع دنيوي كموالاة الأحزاب العلمانية التي تطالب بالحجر على الدين في المساجد بين أربعة جدر، وأن تظل تعاليمه قابعة في العبادات ، وذلك خطر يداهم العقيدة ويعوق الأمة عن أن تأخذ مكانها الذي وهبه الله لها .

ثانيا : السقوط في هاوية براءة النبي ﷺ :

لا ريب أن دعاة الفرقة يدعون إلى عصبية ويغضبون لعصبية ويقاتلون على عصبية ، والعصبية فكرة جاهلية تناوئ الاعتقاد الصحيح ، وقد تبرأ النبي ﷺ ممن دعا إلى عصبية ففي سنن أبي داود " عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : " لَيْسَ مِنَّا مَنْ دَعَا إِلَى عَصَبِيَّةٍ وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ قَاتَلَ عَلَى عَصَبِيَّةٍ وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ مَاتَ عَلَى عَصَبِيَّةٍ"[٢] .

والتفرق في أصول الدين مدعاة للكفر لذلك برأ الله نبيه ﷺ من أهل الفرقة، فقال :

---

(١)الجزائري ، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر ، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير (ط. مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة،ط.خامسة، ١٤٢٤هـ،٢٠٠٣م) جـ ٥، صـ ٢٥٤ .

(٢)أخرجه أبو داود ، سليمان بن الأشعث السجستاني ، وضعفه الألباني ، سنن أبي داود ، كتاب الأدب ،باب فِي الْعَصَبِيَّةِ ، (ط. دار الكتاب العربي ، بيروت ، د. ت) جـ ٤ ، صـ ٤٩٤ .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ، إِنَّما أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ، ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِما كانُوا يَفْعَلُونَ ﴾[١] ، وفي الآية إشارة إلى " الافتراق المذموم ، وهو في الأصول ؛ كالتوحيد وسائر العقائد ، فقد افترقت الأمة في مسائل منه ، فخرج اثنان وسبعون فرقة ، وأهل السنة هي الفرقة الناجية ، وأما الاختلاف في الفروع فلا بأس به"[٢] .

وقد أثبت الله البراءة لنبيه من ضلالهم ، وذلك واضح في قوله:" لست منهم في شيء " أي " بريء منهم "[٣] ، والقرآن يؤصل مسألة الافتراق في هذه الآية " فأهل الأديان قبلنا اختلفوا فيما بينهم على آراء ومثل باطلة، وكل فرقة منهم تزعم أنها على شيء، وهذه الأمة أيضاً اختلفت فيما بينها على نحل كلها على ضلالة إلا واحدة ، وهم أهل السنة والجماعة، المتمسكون بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ، وبما كان عليه الصدر الأول من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين في قديم الدهر وحديثه "[٤] .

ثالثا : التفرق عمية جاهلية صارخة تخالف منهج القرآن في تسيير الأمة في الوجود الإنساني :

حدد الإسلام بقاء الأمة في هذا الوجود بمنهج رباني يشمل سلامة العيش فيه بكل واقعية، منهج يجمع ولا يفرق ، ويوحد ولا يمزق ، بعيد عن الحزبية والفرقة والنعرات

---

(١)سورة الأنعام : آية : ١٥٩ .

(٢) ابن عجيبة ، أحمد بن محمد بن المهدي ، البحر المديد ، جـ ٢ ، صـ ٤٥٧ .

(٣) السيوطي ، عبد الرحمن بن أبي بكر ، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (ط.دار هجر ، مصر ، ١٤٢٤هـ. ٢٠٠٣م) جـ ٦ ، صـ ٢٩٤ .

(٤) ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي ، تفسير القرآن العظيم ، (ط. دار الفكر ، ١٤١٤هـ،١٩٩٤م) جـ ٣ ، صـ ٥٢٥ .

الجاهلية التي تفتت المجتمعات ، والإسلام بهذا المنهج الله كفل للإنسانية كل مقومات الحياة، لأنه قائم على عقيدة صالحة تفسر طبيعة الفطرة الإنسانية ، وترسم للأوطان خطى السير بما يحقق الأمن النفسي والمجتمعي .

وقد ألزم القرآن الأمة بأن تنتمي إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وأن يتعاونوا في ذلك بصدق وإخلاص ، فلا حزبية باسم أحد ، أو بشعار ، أو مذهب ، أو فكرة تخالف التبعية المطلقة لكتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، والاستظلال بكلمة التوحيد الجامعة ؛ المحصنة المانعة ، قال تعالى: ﴿ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١) وذلك قمة التبعية ، وغاية الانتساب وابتداؤه ومنتهاه .

ومخالفة هذا الإلزام القرآني المتناغم مع الفطرة السليمة يتمخض عنه مجتمعات هينة ؛ ويترتب عليه بقاء مذبذب ؛ هزيل ، والتفرق على رأس مسببات التذبذب والهزال ، فهما يحولان المجتمع إلى باحات عراك ، وساحات منافسات وانتصار للآراء وليس للحق بشتى السبل حلالها وحرامها، فلا شك أن تحزب المسلمين إلى شعاب متفرقة متناحرة؛ مخالف لما تقتضيه الشريعة الإسلامية من الائتلاف والاتفاق؛ موافق لما يريده الشيطان من التحريض بين المسلمين، وإيقاع العداوة والبغضاء، وصدهم عن ذكر الله وعن الصلاة، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ (٢)، وقال : ﴿ وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴾ (٣)، وقال تعالى: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا

---

(١) سورة المجادلة : ٢٢.

(٢)سورة الأنبياء : ٩٢ ..

(٣)سورة المؤمنون: ٥٢

تَفَرَّقُوا ﴾ (١)، وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (٢).

وفي الآيات حض على الوحدة والاجتماع وترك التنابذ والتفرق الديني من بعد أن صدحت البينات بالحق ، فالتنابذ والافتراق سبب في الخذلان والفشل.

وتتكون كارثية التفرق الديني من أن كل فرقة ترى نفسَها فوق الجميع ، وأنه على حق وغيره على باطل؛ وهو مشمول في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (٣).

والإسلام بعقيدته وشريعته كفيل بتسيير الأمة في مقدمة الوجود الإنساني، شريطة الانتماء إليه، والتبعية المطلقة لمنهجه، بعيداً عن الترقيع الفكري، والاستيراد السلوكي والأخلاقي، وكانت هذه التبعية لمنهج الإسلام من نعت الأمة في ماضيها الزاهر، وحوي التاريخ في لفائف وعيه هذه الحقيقة، ولما رأى الغرب ذلك وعبّأ جعبته من لوامع الحضارة الإسلامية، أراد أن يجمّد روافد آمال الأمة، ويضرب بمطارق التدمير على مواضع آلامها، فأعلنها حرباً على العقيدة ، وجند لها مساعير حاقدين، ولم يضع خطاً أو محوراً يفصل بين الحرب المباحة والحرب المحرمة، لأنه لم ير إلا نفسه، ومن هنا كانت نتيجة المعركة محاولة هدم الأمة بتجميد آمالها وتمديد آلامها .

---

(١)سورة آل عمران : ١٠٢ .

(٢)سورة آل عمران : ١٠٥ .

(٣)سورة الأنعام:١٥٩.

رابعا : التحزب والافتراق العقدي يورثا العجب بالباطل وسببان في سقوط الأديان قديما:

قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ (١).

فقوله : " كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ " ،" تذييل لما قبله لأن التقطع يقتضي التحزب فذيل بأن كل فريق منهم فرح بدينه، ففي الكلام صفة محذوفة لـ"حِزْبٍ" أي كل حزب منهم، بدلالة المقام ، والفرح: شدة المسرة، أي راضون جذلون بأنهم اتخذوا طريقتهم في الدين،والمعنى: أنهم فرحون بدينهم ، وهو خلاف مراد الله ولذلك ذيل به قوله: ﴿ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً " ، وقديما كان التحزب مسببا لسقوط الأديان والأمم ، وهو من دعوة الشيطان التي يلبس فيها الباطل في صورة الحق ﴾ (٢).

خامسا : التفرق أهواء تفرز تعصبا مذهبيا وصراعا عقديا :

من صور التفرق ما ينبثق من التعصب المذهبي ،" وقد تجلت مظاهره في مختلف جوانب الحياة عند المسلمين على مستوى المذاهب والطوائف " (٣) وبمدارسة كتب الفرق والمذاهب الإسلامية " يمكن أن نضع أيدينا على صورة مخيفة لتشظي الأمة المذهبي والعدد الأسطوري للفرق التي كانت الواحدة منها تتشرذم بدورها إلى فرق شتى،

---

(١)سورة الروم: آية ٣٢.

(٢)ابن عاشور ، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر ، التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور (ط. مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان ، ط.أولى، ١٤٢٠هـ،٢٠٠٠م) جـ ١٨ ، صـ ٦٠ .

(٣)خالد كبير علال، التعصب المذهب في التاريخ الإسلامي خلال العصر الإسلامي، مظاهره، آثاره، أسبابه، علاجه، (ط.دار المحتسب، سنة ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م) صـ ٧ .

ويكفي أن نطالع كتاب (الفرق بين الفرق) (١) فقد ذكر ما يزيد على المائة فرقة شهدها تاريخ المسلمين حتى عصره، ، ولم يقف الأمر عند حدود الجدل ولكنه تجاوزه في كثير من الأحيان صوب اعتماد الصراع المذهبي والعنف، ورفع السيف قبالة الآخر"(٢) .

وقد مارس التفرق المذهبي " وما تمخض عنه من صراع حاد على مستوى العقيدة والشريعة والسلوك، وعبر قنوات الجدل أو القتال . دوراً خطيراً في تفتيت قدرات الأمة واستنزافها، وإعاقتها عن مواصلة مهماتها الحضارية "(٣)، وسبب ذلك ما يلي:

ويعد الغلو والتعصب للرأي على رأس أسباب التمزق المذهبي، فقد انتشر الغلو والنزوع إلى الجدل النظري العقيم، بدلاً من المرونة والسماحة والتيسير والانصراف إلى الفعل والسلوك، وأخذ بمرور الوقت يغطي جسد الأمة كالبثور السوداء، ومال العديد من المثقفين والعلماء والفلاسفة والدعاة، وشرائح شتى من الفئات والجماعات فضلاً عن الفرق والأحزاب، صوب هذا الاتجاه الذي ينذر بالشر والعقم والأذى، قال رسول الله ﷺ: " إذا رأيت شحاً مطاعاً، وهوى متبعاً، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بخاصة نفسك ودع عنك أمر العوام " (٤).

وذلك لأن هذه المغالاة تتناقض مع الإسلام، فهو دين الحنيفية السمحاء واليسر

(١) الشيخ عبد القاهر البغدادي (ت ٤٢٩ هـ) .

(٢)عماد الدين خليل، مدخل إلى الحضارة الإسلامية، (ط. المركز الثقافي العربي والدار العربية للعوم، ط. أولى، سنة ١٤٢٦هـ. ٢٠٠٥م) صـ ١٧٤ .

(٣) نفس المصدر ، صـ ١٧٣، .

(٤) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب:الملاحم، باب: الأمر والنهي، برقم ٤٣٤١، (ط. دار الفكر، بيروت، ط. ثالثة، سنة ١٤٢٠هـ) جـ ٤.

والمرونة والجدل بالتي هي أحسن، وهؤلاء المتعصبون المغالون المجادلون قد أبحروا بالاتجاه المضاد فقادهم هذا إلى استنزاف قدراتهم العقلية في ساحات الجدل والمنطق والفلسفة، وصدهم عن توظيف طاقاتهم في سياقها الصحيح من خارطة النشاط الحضاري، فضلاً عن أنه عمق الخناق بين أبناء الأمة الواحدة، وقاد إلى "المذهبية" في أكثر صيغها . أحياناً . حدة وتطرفاً، لقد وقع . في طور من أطوار التاريخ الإسلامي . أن احتكت الحياة الإسلامية الأصيلة المنبثقة من التصور الإسلامي الصحيح بألوان الحياة الأخرى التي وجدها الإسلام في البلاد المفتوحة، وفيما وراءها كذلك، ثم بالثقافات السائدة في تلك البلاد "(١).

وقد عبأت هذه الثقافات الجعبة الفكرية لدى عقول الناس، فاختلفت نظراتهم حسب النظريات التي ينتمون إليها،مما أدى إلى ارتكاس الأمة وانتكاسها .

سادساً: خلع الثوابت الإيمانية بفقدان الهُوية (٢) والفصام (٣) الثقافي:

مزجت روح الفرقة الشرقية بمعتقدات الغرب وتصوراته وأنصت تلاميذه لهذه السموم الفكرية ، فظهرت أحزاب تنادي بالعلمانية والديمقراطية بمفهومها الغربي المجرد من

---

(١)عماد الدين خليل، مدخل إلى الحضارة الإسلامية، صـ ١٧٦.

(٢) الهُوية: هي باطن الشخص الدال على حقيقته واتجاهه ، انظر: القاموس الجديد للطلاب، معجم عربي مدرسي ألفبائي، للأساتذة: على بن هادية وبلحسَن البليش والجيلاني بن الحاج يحي، بتقديم: محمود المسعدي، مادة: هيبة، (ط.الشركة التونسية للتوزيع، المؤسسة الوطنية الجزائرية للكتاب، ط. خامسة، سنة ١٩٨٤م) صـ ١٢٩٥.

(٣) الفصام: يقال فُصِم جانب البيت: أنهدم، والانفصام: الانقطاع والانكسار، ويقال الفصم: كل شيء سقط من إنسان فنسيه ولم يهتد له، ويقال أَفصم المطر: انقطع وأقلع، راجع: لسان العرب المحيط، لابن منظور، مادة: فصم، ص ١١٠٢، ١١٠٣ جـ ٤.

الأخلاق ، فصارت بعض الأحزاب شيطانية تابعة للغرب لا لمنهج الله، إنها فقدت هويتها، وعكرت صفو ثقافتها، فرددت ما يرددهُ أقطابهم وساداتهم بتقليص الدين ومحدودية سريانه في شعاب الحياة، وليس من طبيعة الدين أن ينفصل عن الدنيا، وليس من طبيعة المنهج الإلهي أن ينحصر في المشاعر الوجدانية، والأخلاق التهذيبية، والشعائر التعبدية، لقد قفزت بعض الأحزاب عن سفينة النجاة ، وراح سادتها ينصتون لسفهاء يضعون لهم القواعد الحزبية ، والقوانين والتشكيلات على أهوائهم دون الرجوع إلى الله، لقد تم ذلك الفصام النكد في ظروف نكدة، وكانت له آثاره المدمرة في أوربا، ثم في الأرض كلها حين طغت التصورات والأنظمة الغربية على البشرية كلها في مشارق الأرض ومغاربها .

إنه فصام بين الدنيا والآخرة، وبين المادة والروح، فصام ربط الهوية بالهوى، مع أن المسلك واضح والقرآن ردد ذلك وحذر من الوقوع في هذه الشراك، فقد خاطب الله تعالى نبيه ﷺ ونهاه عن تجافي الشريعة أو اتباع غيرها حين قال:

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١) .

فهاهم الذين لا يعلمون ينشرون المجاهيل الثقافية حتى أودت بالبشرية إلى طريق التعاسة والبؤس، وأحاطتها دوائر التعذيب في داخلها ، فأذاق بعضهم بأس بعض،وفي أوربا . مصدر الفكر والغزو الدامس . بدا هذا البؤس حتى صار كل يتهم الآخر بالمسئولية عن هذا الهدم الأخلاقي والثقافي الذي قوض الأخلاق في العالم .

وإن حزبية الشيطان رتعت في عالمنا المسلم في ظل "التغريب الذي نشر مدارسه في الشرق المسلم ، والتخلي عن المرجعية الإسلامية بالثقافات المستوردة، وانطلاق نفر من

---

(١) سورة الجاثية، الآية (١٨) .

المتغربين الذين دُربت عقولهم، وصيغت آراؤهم وفلسفاتهم وفق المناهج الغربية، فبشروا بالمقولات والرؤى الجديدة التي قلدوا فيها سلفهم الغربي من فلاسفة التنوير" (١) الغربي متحدين ثوابت العقيدة.

وبذلك حل في الأمة الفصام الثقافي المعكر لصفو العقيدة باسم الحزبية المقيتة ، فكانت النتيجة إحداث شرخ في الوعي الثقافي الديني ، وتأسيس أحزاب مستنسخة من النظام الحزبي الغربي ؛ تطالب بإلغاء الدين عن واقع الحياة تحت شعارات الحرية والمساواة والديمقراطية وغير ذلك بطريق التقليد الأعمى ، أو بطريق العمد المباشر المقصود الموّجه إلى العقيدة .

ومن خلال هذه النعرات الجاهلية ثار غبار الثقافة الغربية في فكر هذه عصبة مارقة راحت تؤسس أحزابا سياسية تنكر على الدين صلاحيته لإدارة شئون الحياة ، وذاعوها في آذان المسلمين، وإن كانت تحدث طنيناً لا يتجاوز طنين الذبابة، إلا أنه أحدث تشويشاً في بعض العقول مما ساق بعض الأفكار إلى مزالق سحيقة .

إن المنضمون لحزب الشيطان أرادوا زعزعة ذلك كله، بتطبيع الأمة على طبائع الغرب اللاأخلاقية السائبة، فكانت الدعوة الصريحة الأهوائية المضلّة إلى جعل الشرق صورة للغرب، مما أخذ الأمة إلى شقاء الغرب المنكود المجرد، وسخر الغرب إعلامه المسموم ليبث هذا التطبيع الصريح إيهاماً للناس بأن ذلك التحرر هو قمة التحضر

---

(١) التنوير: في اللغة مصدر نوَّر وهو وقت ظهور الصبح، ويقال تنوَّر المكان أي أضاء. انظر: الرائد، معجم لغوي عصري، لجبران مسعود، (ط.دار العلم للملايين، طبعة ثانية، سنة ١٩٦٧م) صـ ٤٦٤، والمراد به هنا على خلاف ذلك فهو تعتيم لأنه إطلاق في غير محله من وجهة نظر أهله فهو يعني طمس القيم والأخلاق الإسلامية واستبدالها بالثقافات الوافدة الغربية اللاأخلاقية المتحررة.

والتمدن، ولازالت الأمة تدفع الضريبة الفادحة لتلك الضربة القاصمة حيث الشقاء والقلق والحيرة والخواء والانخداع بالظواهر الكاذبة الموقوتة نتيجة الذهول النكد بالإبداع المادي الغربي المنصرم عن المنهج الرباني، فارتمى العالم المسلم في أحضان الغرب فكراً وسلوكاً وخلقاً، فتكونت أحزاب انزلقت في تيار العلمانية الذي يفصل الدين عن الدولة، بل وعن الحياة كلها " وقد ظهر فيها غلاة من الدعاة للعلمانية، ومن كلام أحدهم (١) والذي يفصح عن تلك التبعية بل الاستنساخ الفكري والأخلاقي قوله: " إننا عزمنا على أن نأخذ كل ما عند الغربيين حتى الالتهابات التي في مريئهم، والنجاسات التي في أمعائهم "(٢) ، على نفس التناغم انبعثت الأفكار الحزبية الهدامة، مما عكر صفو الثقافة، وأصاب بعض العقول الهينة بالشتات والذبذبة، وانفلت عقد بعض دول العالم الإسلامي لتكون أسيرة لهذا الغزو .



(١) القائل هو العلماني الشهير: أغا أوعلي أحمد، وهو من أنصار كمال أتاتورك المغالين .

(٢)جميل عبد الله ، حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة، جـ١ صـ ١٨٠.

الخاتمة

حاول الباحث في هذه الدراسة مخلصاً – فيما يحسب — القصد لله تعالى ، مؤمّلاً أن يضع الأيدي على آثار الافتراق والتحزب على واقع أمتنا المسلمة في كل توجهاتها الفكرية والثقافية والسياسية والعقدية ، ومن خلال هذه الدراسة وصل الباحث إلى عدة نتائج وتوصيات يبرز لها فيما يأتي :

أولا : أهم النتائج :

١. أن الافتراق يبث الحقد والكراهية بين الأطراف المتحزبة ، فكل طرف يتربص بخصمه الدوائر ، لإضعافه والإيقاع به ، تحقيقا لمكاسب حزبية واجتماعية وسياسية ، باستخدام مختلف الوسائل الممكنة ، جاعلا الأخوة الإسلامية في مواجهة تحد خطير .
٢. ترك التفرق آثارا مدمرة على الأفراد و الجماعات و العمران ، و ميّز كل حزب وفرقة ، فأفسد بذلك الأفكار و المشاعر و السلوكيات ، و كانت سلبياته أكثر من إيجابياته بفارق كبير جدا .
٣. أن التحزب والتفرق آليتان لإحياء أهوائية العصبية :
٤. تبين أن التفرق أهواء تمزق أواصر الوحدة وتعكر صفو الإخاء .
٥. أن التفرق مدعاة لإحياء النعرات العرقية والقبلية والعنصرية والطبقية .
٦. أن التفرق عمية تحقق لبغية الصهيونية (فرق تسد) .
٧. أن التفرق والتحزب سبيلان لإحياء المداهنة للباطل على حساب الدين .
٨. أن التفرق والتحزب أداتان للسقوط في هاوية براءة النبي ﷺ .
٩. أن التفرق والتحزب عمية أهوائية صارخة تخالف منهج القرآن في تسيير الأمة في الوجود الإنساني ، وهما يخالفان الاعتقاد الصحيح لأنهما يورثان العجب بالباطل

وهما دليل سقوط الأديان قديما ، ويفرزان تعصبا مذهبيا وصراعا عقديا ، وخلعا للثوابت الإيمانية بفقدان الهُوية والفصام الثقافي .

ثانيا : **أهم التوصيات** :يوصي الباحث بما يأتي :

أولا : عقد ندوات ومؤتمرات عالمية للكشف عن أثر التحزب والافتراق في إضعاف نسيج الأمة ووهنها ، وكسر قوتها.

ثانيا: تكثيف الجهود العلمية من قبل المؤسسات الحكومية والخيرية والإعلامية في إبراز حلول لإيجاد حلول لمواجهة داء الفرقة والتحزب ، والكشف عما يترتب عليهما من شق لعصا الجماعة المسلمة وإثارة للفتن .

وصل الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين



فهرس الموضوعات

أولا : القرآن الكريم .

١.إبراهيم اليازجي اللبناني، نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد، (ط. دار المعارف، سنة ١٩٠٤م) .

٢. ابن سيده ، أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي ، المخصص ، تحقيق : خليل إبراهم جفال ، (ط. دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط. أولى ١٤١٧هـ ١٩٩٦م).

٣. ابن عاشور ، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر ، التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ، (ط. مؤسسة التاريخ العربي، بيروت ، لبنان ، ط.أولى، ١٤٢٠هـ،٢٠٠٠م).

٤. ابن عجيبة ، أحمد بن محمد بن المهدي ، البحر المديد ، (ط. دار الكتب العلمية . بيروت ، ط. ثانية ، سنة ٢٠٠٢ م . ١٤٢٣ هـ) .

٥. ابن كثير ،إسماعيل بن عمر الدمشقي أبو الفداء، تفسير القرآن العظيم، (ط.مكتبة دار التراث، د.ت) .

٦. ابن ماجة ، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ، سنن ابن ماجه . بتحقيق : شعيب الأرنؤوط ، عادل مرشد ، محمَّد كامل قره بللي ، عَبد اللّطيف حرز الله ، (دار الرسالة العالمية ، ط.أولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م) .

٧. ابن منظور ،محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ، الإفريقي ، لسان العرب (ط.دار صادر ، بيروت ، د ت) .

٨. أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان، تفسير البحر المحيط، بتحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ على محمد معوض،(ط. دار الكتب العلمية، ط. أولى، سنة ١٤١٣هـ. ١٩٩٣م) .

أبو الفتح ناصر الدين بن عبد السيد بن علي بن المطرز، تحقيق: محمود فاخوري، وعبد الحميد مختار، (ط. مكتبة أسامة بن زيد، حلب، ط. أولى، سنة ١٩٧٩م) .

٩. أبو داود في سننه، كتاب:الملاحم، باب: الأمر والنهي، (ط. دار الفكر، بيروت، ط. ثالثة، سنة ١٤٢٠هـ).

١٠. أبو السعود ،محمد بن محمد العمادي ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (تفسير أبي السعود) (ط. دار إحياء التراث العربي ، بيروت، د.ت) .

١١. أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان،وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، بتحقيق: إحسان عباس (ط. دار صادر، بيروت، د.ت) .

١٢. البخاري ، صحيح البخاري ، (ط.دار طوق النجاة ، ط. أولى ،١٤٢٢هـ) .

١٣. البغدادي ، عبد القاهر البغدادي ، الفرق بين الفرق ، تحقيق : محي الدين عبد الحميد (ط. المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٩٥ م) .

١٤. الترمذي ، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك،سنن الترمذي، (ط. شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ط.ثانية، ١٣٩٥ هـ ، ١٩٧٥ م).

١٥. جبران مسعود، الرائد، معجم لغوي عصري، (ط.دار العلم للملايين، طبعة ثانية، سنة ١٩٦٧م) .

١٦. الجزائري ، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر ، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير (ط. مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة،ط.خامسة، ١٤٢٤هـ،٢٠٠٣م).

١٧. الجزري ، أبو السعادات المبارك ، النهاية في غريب الحديث والأثر ، تحقيق : طاهر أحمد الزاوى ، محمود محمد الطناحي (ط. المكتبة العلمية – بيروت ، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م) .

١٨. جميل عبد الله ، حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصر، ،(ط.مكتبة العبيكان، طبعة عاشرة، سنة ١٤٢٧هـ. ٢٠٠٦م).

١٩. جواد علي ، المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ، (ط. دار الساقي ، طبعة رابعة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م) .

٢٠. خالد كبير علال، التعصب المذهب في التاريخ الإسلامي خلال العصر الإسلامي، مظاهره، آثاره، أسبابه، علاجه، (ط.دار المحتسب، سنة ١٤٢٩هـ. ٢٠٠٨م) .

٢١. الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ،

تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري (ط. دار الكتاب العربي ، لبنان ، بيروت ، طبعة أولى ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م) .

٢٢. الزمخشري، محمود بن عمر، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، الفائق في غريب الحديث، (ط. دار المعرفة، لبنان، ط. ثانية، د.ت) .

٢٣. الزبيدي ،محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس (ط. دار الهداية ، د.ت) .

٢٤. السيوطي ، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين ، ، الدر المنثور في التفسير بالماثور ، (ط. دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٣م) .

٢٥. الشنقيطي ، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني ، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (ط. دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان ، عام النشر : ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م) .

٢٦. الشوكاني ، محمد بن علي بن محمد ، فتح القدير، الجامع بين فني الرواية والدِّراية من علم التفسير، بتحقيق: سيد إبراهيم، (ط. دار الحديث، د.ت) .

٢٧. عبد الرحمن عباد، أسس الحضارة الإسلامية، أبحاث وقائع المؤتمر العام الخامس عشر للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية، (سنة ١٤٢٤هـ. ٢٠٠٤م).

٢٨. عبد العظيم إبراهيم المطعني ، أوربا في مواجهة الإسلام، الوسائل والأهداف ، (ط. مكتبة وهبة، ط.أولى، سنة ١٤١٣هـ. ١٩٩٣م .

٢٩. عَبدِ الْعَزِيزِ بْنِ مُحَمَّدٍ السّلمانِ ، الأنوار الساطعات لآيات جامعات (بدون مطبعة ، د.ت) .

٣٠. العسقلاني ، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر ، لسان الميزان ، (ط. مؤسسة الأعلمي ، بيروت ، ط. ثالثة ، سنة ١٩٨٦) .

٣١ . على بن هادية وبلحسَن البليش والجيلاني بن الحاج يحي، القاموس الجديد للطلاب، معجم عربي مدرسي ألفبائي بتقديم: محمود المسعدي، (ط.الشركة التونسية للتوزيع، المؤسسة الوطنية الجزائرية للكتاب، ط. خامسة، سنة ١٩٨٤م).

٣٢. عماد الدين خليل، مدخل إلى الحضارة الإسلامية، (ط. المركز الثقافي العربي والدار العربية للعوم، ط. أولى، سنة ١٤٢٦هـ. ٢٠٠٥م) .

٣٣. غوستاف لوبون، حضارة العرب، بترجمة: عادل زعيتر، (ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ت) .

٣٤. الماوردي ، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري ، (تفسير الماوردى) النكت والعيون ،تحقيق : السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم (ط. دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت) .

٣٥. المباركفوري ، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم أبو العلا ،تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة (دار الكتب العلمية – بيروت ،د.ت) .

٣٦. مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ، التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، (ط. الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، ط.أولى، ((١٤١٤ هـ ، ١٩٩٣ م) .

٣٧. المقري ، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ، المصباح المنير ، دراسة و تحقيق : يوسف الشيخ محمد ، (ط. المكتبة العصرية ، د. ت) .

٣٨. مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري ، صحيح مسلم ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، (ط. دار إحياء التراث العربي – بيروت ، د.ت) .

٣٩. النسفي ،نجم الدين عمر، شرح العلامة ، تحقيق :سعد الدين التفتازاني على العقائد النسفية ، (ط.دار الكتب العربية الكبرى، مصطفى البابي الحلبي ، د.ت) .